

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ

مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ طه: 88]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

بعد قَذْفِ الْحُلِيِّ
فِي النَّارِ وَإِذَابَتِهَا
بَيْنَ مَا صُنِعَ
مِنْ مُذَابِ تِلْكَ
الْحُلِيِّ

لَمَّا بَيَّنَّ النَّظْمُ الْجَلِيلُ مَا اعْتَذَرَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَنْ مَخَالَفَتِهِمْ تَعَالِيمَ مُوسَى ﷺ بِاتِّخَاذِ الْعِجْلِ، بَأَن نَسَبُوا ذَلِكَ إِلَى السَّامِرِيِّ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِقَذْفِ الْحُلِيِّ فِي النَّارِ، وَقَذَفَ مَعَهُمُ السَّامِرِيُّ مَا مَعَهُ مِنَ الْحُلِيِّ فِي النَّارِ؛ بَيْنَ النَّظْمِ الْجَلِيلِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا صَنَعَهُ لَهُمُ السَّامِرِيُّ مِنْ تِلْكَ الْحُلِيِّ، فَقَالَ: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾⁽¹⁾، فَالآيَةُ مِنْ تَمَامِ الْمَحَاوِرَةِ الَّتِي أَجْرَاهَا النَّفَرُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَ مُوسَى ﷺ لِبَيَانِ مَا حَصَلَ بِشَأْنِ الْعِجْلِ.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿جَسَدًا﴾: (جسد) أَصْلٌ يُدُلُّ عَلَى تَجَمُّعِ الشَّيْءِ، وَاشْتِدَادِهِ، مِنْ ذَلِكَ جَسَدُ الْإِنْسَانِ⁽²⁾، وَالْجَسَدُ كَالْجِسْمِ لَكِنَّهُ أَخْصُ، وَكُلُّ خَلْقٍ لَا يَأْكُلُ، وَلَا يَشْرَبُ مِنْ نَحْوِ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ مِمَّا يَعْقِلُ، فَهُوَ جَسَدٌ، وَكَانَ عِجْلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَسَدًا يَصِيحُ لَا يَأْكُلُ، وَلَا يَشْرَبُ⁽³⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾، أَي: كَتَلَهُ لَا رُوحَ فِيهَا، فَالْجَسَدُ يَقَعُ عَلَى مَا لَا يَتَغَذَّى مِنَ الْجَمَادِ⁽⁴⁾، فَعُبِّرَ بِالْجَسَدِ هُنَا؛ لِبَيَانِ حَقِيقَةِ الْعِجْلِ الْمَذْكُورِ ابْتِدَاءً.

(2) ﴿خُورٌ﴾: (خور) أَصْلٌ يُدُلُّ عَلَى صَوْتٍ، وَخَارَ الثَّوْرُ يَخُورُ،

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 9/ 139.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جسد).

(3) ابن منظور، لسان العرب: (جسد).

(4) جبل، اللعجم الاشتقاقي للأصل: (جسد).

وَذَلِكَ صَوْتُهِ⁽¹⁾، فَالْخَوَارُ صَوْتُ الْبَقَرِ، وَالْغَنَمِ، وَالطَّيَّاءِ، وَالسَّهَامِ،
وَقَدْ خَارَ يَخُورُ خَوَارًا: صَاحَ⁽²⁾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَهُ خَوَارٌ﴾، أَي: صَوْتُ، خَوَارُهُ خَفِيفٌ؛ إِذَا دَخَلَ الرِّيحُ جَوْفَهُ، وَالْخَوَرُ: اللَّيْنُ، وَمِنْهُ رَجُلٌ خَوَارٌ، أَي: جَبَانٌ، وَكَأَنَّهُمْ تَصَوَّرُوا أَنَّ الصَّوْتَ لَا يَكُونُ إِلَّا عِنْدَ خَوْفٍ⁽³⁾، فَكَانَ خَوَارُهُ صَوْتُ حَفِيفِ الرِّيحِ؛ إِذَا دَخَلَ جَوْفَهُ⁽⁴⁾.

(3) ﴿فَنَسِيَ﴾: (نسي) أَصْلٌ يُدُلُّ عَلَى إِغْفَالِ الشَّيْءِ، وَتَرْكِهِ⁽⁵⁾، وَالنَّسْيَانُ، بِكَسْرِ النُّونِ: ضِدُّ الذِّكْرِ وَالْحِفْظِ، نَسِيَ نَسِيًّا وَنَسِيَانًا⁽⁶⁾، وَهُوَ تَرَكَ الْإِنْسَانَ ضَبْطًا مَا اسْتَوْدَعَ، إِمَّا لَضَعْفِ قَلْبِهِ، وَإِمَّا عَنْ غَفْلَةٍ، وَإِمَّا عَنْ قَصْدٍ حَتَّى يَنْحَذِفَ عَنِ الْقَلْبِ ذِكْرُهُ⁽⁷⁾، وَالْمَرَادُ بِهِ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ اتَّهَمُوا مُوسَى بِتَرْكِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ⁽⁸⁾.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

يُخْبِرُ النَّظْمُ الْكَرِيمُ أَنَّ النَّفَرَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالُوا لِمُوسَى فِي اعْتِزَالِهِمْ: إِنَّ السَّامِرِيَّ قَدْ صَنَعَ مِنَ الذَّهَبِ الَّذِي نَتَجَ مِنْ إِذَابَةِ الْحُلِيِّ عِجْلًا جَسَدًا بَلَا حَيَاةٍ، يَخُورُ خَوَارَ الْبَقَرِ، فَقَالَ الَّذِينَ ضَلُّوا مِنْهُمْ لِلْآخَرِينَ: هَذَا هُوَ إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى، وَلَكِنَّهُ نَسِيَهُ، وَغَفَلَ عَنْهُ⁽⁹⁾.

صناعة العجل
وإظهاره من
الحلي المذابة

❖ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالْبَلَاغِيُّ:

معنى الفاء في مُفْتَتِحِ الْآيَةِ:

عطفَ النَّظْمِ الْجَلِيلِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ

الإخبار بإخراج
العجل مُتَفَرِّعٌ
عَنِ الْخَبَرِ الْأَوَّلِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خور).

(2) ابن منظور، لسان العرب: (خور).

(3) السمين الحلي، عمدة الحفاظ: (خور).

(4) الواحدي، البسيط: 499 / 14.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نسي).

(6) ابن منظور، لسان العرب: (نسا).

(7) الزاغ، المفردات: (نسي).

(8) الواحدي، البسيط: 501 / 14.

(9) جماعة من العلماء، التفسير الميسر: 318 / 1.

خَوَّارٌ على جملة: **﴿أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾** [طه: 87]⁽¹⁾، وآثرَ العطفَ بالفاء للدلالة على أنَّ الخبرَ في الجملة الثانية المتضمنة إخراجَ العجلِ متفرِّعٌ عن الخبرِ في الجملة الأولى المتضمنِ الإخبارَ بإلقاءِ الحليِّ، فعطفَ بالفاء تفرُّيعاً خبراً على خبرٍ⁽²⁾، ذاك أنَّ خروجَ التمثالِ لما كان عقبَ إلقائه؛ جُعِلَ كأنَّه المتسبِّبُ في ذلك⁽³⁾، فهذه الآية امتدادٌ طبيعيٌّ وسهلٌ لما قبلها؛ لأنَّ فاعلَ الإخراجِ مذكورٌ في فاصلة ما قبلها: **﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾**.

نُكْتَةُ الْعُدُولِ عَنِ التَّكَلُّمِ إِلَى الْغَيْبَةِ:

عدل النَّظْمُ الجليلُ عن التَّعبيرِ بصيغةِ الخطابِ (لنا) إلى التَّعبيرِ عن الغائبين **﴿لَهُمْ﴾** في قوله تعالى: **﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجْلاً جَسَداً لَهُ خَوَّارٌ﴾**، فالضَّميرُ عائدٌ إلى غير المتكلمين، وإنَّما جعلوا الإخراجَ للغائبين للدلالة على أنَّ قائلِي هذا الكلام لموسى لم يكونوا ممَّن اعتقدَ إلهيةَ العجلِ، فهذا القولُ من حكاية قولِ القوم لموسى، فهو من تمامِ المعذرةِ التي اعتذر بها المجيبون لموسى، فيكونُ العدولُ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الْغَيْبَةِ دالًّا على قصدِ القائلين به أن يُبرِّثُوا أَنْفُسَهُمْ من أن يكون إخراجُ العجلِ لأجلهم، أي: أخرجه لمن رغبوا في ذلك⁽⁴⁾، وأرادوا من ذلك الإشارةَ إلى أنَّهم لم يكن في مقدرةِ السَّامِرِيِّ إضلالُهُمْ، فلم يقصدْهم بالإخراجِ، فيؤولُ الكلامُ إلى أنَّهم ابتغوا تأكيدَ ثباتهم على الإيمانِ، وعلى عهدِ موسى ووصيَّته، وفيه أيضاً استهجانٌ لنسبةِ أمرِ العجلِ إلى المتكلمين⁽⁵⁾، وجعلُ الضميرِ للغيبةِ يُؤيِّدُ قولَ مَنْ جعلَ هذا كلامَ مَنْ لم يعبدِ العجلَ، والمعنى عندَ مَنْ

بيانُ المقصودِ
بإظهارِ الوثنيِّ
تبرئةً لأنفسِهِم

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 408 / 8.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 286 / 16.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 40 / 5.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 285 / 16 - 286.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 40 / 5.

جعلَهُ مِنْ كَلَامِ الْعَابِدِينَ: أَنَّهُمْ دَلُّوا بِذَلِكَ الْاِلْتِفَاتِ عَلَى الْبِرَاءَةِ مِنْهُ وَالِاسْتِزْدَارِ لَهُ⁽¹⁾.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالْإِخْرَاجِ مَادَّةً وَصِغَةً:

عَبَّرَ الْقُرْآنُ بِالْفِعْلِ «فَأَخْرَجَ» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ»؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى إِظْهَارِ مَا كَانَ مُحْجُوبًا، فَالْعِجْلُ كَانَ مُحْجُوبًا مُسْتَوْرًا عَنْهُمْ، وَهَذَا يَشِيرُ إِلَى أَنَّ السَّامِرِيَّ قَدْ صَنَعَهُ بِحِيلَةٍ مُسْتَوْرَةٍ عَنْهُمْ، وَلَمْ يُخْرِجْهُ لَهُمْ حَتَّى أَتَمَّهُ⁽²⁾، وَهَذَا دَيْدُنُ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُخْفُونَ مَا يَشِيرُ سَوْأَلُ النَّاسِ عَنْ حَقِيقَةِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ، فَإِنَّهُمْ يَصْنَعُونَهَا بِالْخَفَاءِ، وَيُظْهِرُونَهَا بِشَكْلٍ حَسَنٍ.

مَعْنَى اللَّامِ فِي «لَهُمْ»:

عَلَّقَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ فِعْلَ الْإِخْرَاجِ بِشِبْهِ الْجُمْلَةِ «لَهُمْ» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ» لِبَيَانِ أَنَّ مَقْصُودَهُ مِنْ ذَلِكَ الْفِعْلِ هُوَ لَا النَّاسَ، وَعِلَّةُ ذَلِكَ الْفِعْلِ الْحَصُولُ عَلَى اهْتِمَامِهِمْ وَالتَّأْثِيرِ بِهِمْ، وَيَشِيرُ ذَلِكَ إِلَى أَنَّ غَرَضَهُ لَمْ يَكُنِ الْبَحْثُ عَنِ الْحَقِّ، بَلْ كَانَ طَالِبًا لِرِزَاةِ النَّاسِ بِإِضْلَالِهِمْ عَنِ الْحَقِّ لِيَتَّبِعُوهُ بِعِبَادَةِ الْعِجْلِ الَّذِي صَنَعَهُ بِيَدِهِ.

غَرَضُ تَقْدِيمِ شِبْهِ الْجُمْلَةِ «لَهُمْ»:

قَدَّمَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ شِبْهُ الْجُمْلَةِ مِنَ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ»، فَلَمْ يُقَلَّ: (فَأَخْرَجَ عِجْلًا لَهُمْ)؛ فَأَخَّرَ ذِكْرَ الْعِجْلِ مَعَ كَوْنِهِ هُوَ الْمَفْعُولُ بِهِ الصَّرِيحُ؛ وَذَلِكَ لِلْإِعْتِنَاءِ بِالْمَقْدَّمِ، وَالتَّشْوِيقِ لِلْمُؤَخَّرِ⁽³⁾، فَبَيَانُ الْمَقْصُودِ مِنْ إِخْرَاجِ الْعِجْلِ عَلَى ذِكْرِ الْعِجْلِ ذَاتِهِ أُلْبِغَ فِي إِظْهَارِ سَوْءِ

إِظْهَارُ الْعِجْلِ
الْمُصْنُوعِ بِخَفَاءٍ
أَشَدُّ تَأْثِيرًا فِي
إِضْلَالِ النَّاسِ

اِفْتِرَاءُ الضَّلَالِ
الْمَقْصُودُ مِنْهُ
زَعَامَةُ النَّاسِ
بِاصْطِنَاعِ وَثْنٍ
لَهُمْ

غَايَةُ الضَّالِّ أَنْ
يُضِلَّ النَّاسَ
جَمِيعًا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 40/5.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 286/16.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 36/6.

نَبَّيْتَهُ وَفُضَاعَةً جَرِيمَتِهِ، فَهُوَ لَمْ يُشْرِكْ بِنَفْسِهِ حَسْبُ، بَلْ طَلَبَ الشُّرَكَ
لِلنَّاسِ وَإِضْلَالَهُمْ، وَهَذَا أَبْلَغُ جُرْمٍ وَأَشْنَعُهُ.

فائدة استعارة العجل للصنم:

كان الظاهر أن يقال: (فأخرج لهم صنمًا)؛ لأنه لم يكن حيًّا،
وإنما عبَّرَ القرآنُ بالعجل؛ لإفهامِ شِدَّةِ إْحْكَامِ السَّامِرِيِّ حِيلَتِهِ عَلَى
الْقَوْمِ؛ لِعَظِيمِ رَغْبَتِهِ فِي إِضْلَالِهِمْ، فَاحْتَالَ حَتَّى جَعَلَهُ كَالْعَجَلِ،
لَا يَكَادُ يَفْتَرِّقُ عَنْهُ فِي شَيْءٍ، قَالَ الْبِقَاعِيُّ: "وَلَمَّا كَانَ شَدِيدَ الشَّبَهَةِ
لِلْعُجُولِ؛ قِيلَ: ﴿عَجَلًا﴾"⁽¹⁾، فَاسْتَعَارَ لَهُ الْعَجَلُ؛ لِلْمُطَابَقَةِ بَيْنَهُمَا فِي
جُلِّ جِهَاتِ الشَّبَهَةِ.

نكتة تنكير ﴿عَجَلًا﴾:

آثَرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ التَّعْبِيرَ عَنِ الْعَجَلِ بِصِغَةِ التَّنْكِيرِ فِي قَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا﴾ تَقْلِيلًا لَشَأْنِ الْعَجَلِ
وَتَحْقِيرًا لَهُ؛ فَمَهْمَا كَانَ حَالُ الْعَجَلِ وَصَفَتُهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يُخْرِجُهُ عَنْ كَوْنِهِ
عَجَلًا، وَلَنْ تُكْسِبَهُ أَيْ صِفَةً أَنْ يَكُونَ مَعْبُودًا بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

الموقع النحوي والبياني لقوله: ﴿جَسَدًا﴾:

وَصَفَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ الْعَجَلَ بِكَوْنِهِ جَسَدًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَخْرَجَ
لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا﴾⁽²⁾، وَأَجَازَ بَعْضُ أَئِمَّةِ التَّفْسِيرِ أَنْ يَكُونَ
بَدَلًا مِنَ الْعَجَلِ، وَالْغَرَضُ مِنْ ذَلِكَ التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّهُ أَخْرَجَهُ لَهُمْ عَلَى
شَكْلِ صُورَةٍ مَجَسَّدَةٍ؛ لِيَنْفِي أَنَّهُ مَجَرَّدُ صُورَةٍ مَنْقُوشَةٍ عَلَى طَبَقٍ مِنْ
فُضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ⁽³⁾، وَالْجَسَدُ هُوَ الْجِسْمُ الَّذِي لَا حَيَاةَ فِيهِ، وَهُوَ يَرَادُفُ
الْجُثَّةَ، فَأَرَادَ بِهِ أَنَّهُ جُثَّةٌ فَقَطْ، صُنِعَ مِنْ ذَهَبٍ لَا رُوحَ فِيهِ⁽⁴⁾، وَالْغَرَضُ
مِنْ ذَلِكَ التَّنْبِيهُ عَلَى ضَلَالِهِمْ بِحَيْثُ إِنَّهُمْ عَبْدُوا جَمَادًا لَا مِيزَةَ لَهُ،

أَسْوَأُ النَّاسِ مَنْ
يَبْتَغِي ضَلَالَ
النَّاسِ

حَقَارَةُ التَّخَذِ
إِلَيْهَا دَلِيلٌ عَلَى
ضَحَالَةِ الشُّرِكِ

الْعَجَلُ الَّذِي
أُخْرِجَ لَهُمْ جُثَّةٌ
جَامِدَةٌ لَا رُوحَ
فِيهَا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 40/50.

(2) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 408/8.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 286/16.

(4) الرجاج، معاني القرآن: 377/2، وابن عطية، للحرر الوجيز: 59/4.

وهو أقلُّ رُتبةً من الحيِّ، وإذا كان الحيُّ من المخلوقات لا يستحقُّ العبادة؛ فمن الأولى ألا يعبدوا جمادًا.

وصفَ النّظْمُ الجليلُ العجلَ بوصفٍ ثانٍ بالجملةِ الاسميّةِ⁽¹⁾، في قوله تعالى: ﴿عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا﴾ والغرضُ من وصفِهِ بذلك استقصاءُ للصفاتِ التي ميّزت هذا العجلَ، ومن ثمَّ العلمُ بأنَّ هذا العجلَ لا يمتازُ بما يجعلُ العقلاءَ يعرضون عن الإلهِ الحقِّ الذي أنجاهم من فرعونَ قَبيلِ ذلك، وفيه إشارةٌ إلى حماقة الذين عبدوه، فهو لا يمتازُ بغيرِ الخُورِ، ولا يُخرِجُه ذلك عن كونه عجلًا، فهل التّصويُّتُ ميزةٌ ترفّعه لأن يكون إلهاً؟ وبالجملةِ ففي النّصِّ على هذا الوصفِ إقامةٌ للحجّةِ على مَنْ عبدَ هذا العجلَ، وإقناعٌ للمتلقّين في كلّ زمانٍ ومكانٍ بسوءِ حالِهِم عقلاً وقلباً ونفساً، وكذلك مَنْ في حُكمِهِ في كلّ عصرٍ ومصرٍ وجنسٍ، بأنَّ عليه أن ينظرَ في صفاتِ مَنْ يعبدُ، هل هي صفاتٌ مَنْ يكونُ إلهاً حقّاً؟ ولهذا افتتح القرآنُ أوّلَ سورةٍ من سورِهِ بالتّعريفِ بالإلهِ الحقِّ صاحبِ هذا الكتابِ الذي لا ريبَ فيه.

نكتة تقديم شبه الجملة ﴿لَهُ خُورًا﴾:

قدّم النّظْمُ الجليلُ شبهَ الجملةِ من الجارِّ والمجرور على المسندِ إليه في قوله تعالى: ﴿جَسَدًا لَهُ خُورًا﴾، وأصلُ الكلام: (جسدًا خُورًا له)؛ وذلك لأنَّ المسندَ إليه النّكرة لا يصحُّ أن يُبتدأَ به؛ لأنَّ التّكريرَ لا يدلُّ على معيّنٍ، فلا ينتفعُ السّامعُ بهذه النّكرةِ المتقدّمة، فعند ذلك يُصارُ إلى تخصيصِ النّكرةِ أو تأخيرِها، وفي الآيةِ الكريمةِ آخرُ النّظْمِ الجليلِ النّكرة، وقدّم عليها شبهَ الجملةِ المتضمّنة الضّميرَ الذي يعود على العجل، ثمَّ جيء بلفظِ الخُورِ النّكرة، فعُلِمَ أنَّ المرادَ نسبةَ الخُورِ إلى هذا العجل، وفي تأخيرِ الخُورِ الدّالِّ على ميزة

صفة العجل
أنه يَصَوّت،
فامتاز بذلك عن
التّماثيل

أسمى ما بلغه
العجل أنه يخورُ
فسلب عقول
الصّالّين

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 8 / 408.

هذا العجل تشويقاً إلى ذكر سبب اتّخاذهم له إلهاً، فذكر السَّبَبَ
أنَّه خُوارٌ عجلٍ حسب.

معنى الفاء في قوله: ﴿فَقَالُوا﴾:

عطفَ النَّظْمِ الجليلِ الجملةَ بحرفِ الفاءِ العاطفةِ في قوله
تعالى: ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾؛ للدلالة على
السَّبَبِيَّةِ، أي: فتسبَّبَ عن ذلك الإخراجُ أنَّ الذين تابعوه قالوا ذلك
عقبَ الإخراجِ⁽¹⁾، فتدلُّ الفاءُ على أنَّهم بادروا بتلك المقولة، ويشيرُ
إلى سرعة افتتانهم بهذا الوثن، بحيث إنَّهم آمنوا به، ثم أعلنوا
إيمانهم، وراحوا يدعون إليه قومهم الآخرين، فتبنَّوا الدَّعوةَ إليه
بلا رويَّةٍ فكرٍ وبلا مراجعةٍ، فهو لاقى هوىً في أنفسهم، فعجَّلوا
الاستجابةَ، وبادروا بالدَّعوةِ، وهذا تصويرٌ دقيقٌ للشَّقاءِ الذي
اختاره هؤلاء لأنفسهم.

فائدة المقابلة بين موقفَي السحرة وقوم موسى:

وفي قولهم: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ تصويرٌ للشَّقاءِ
الذي لقيه موسى وهارونُ من قوم موسى المقابلَ لسحرةِ فرعونَ،
الذين بمجرَّد رؤيتهم لمعجزة موسى من انقلاب العصا حيَّةً وغيرِ
ذلك؛ خَرُّوا سَجْدًا لله قائلين: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: 70]،
فالتَّقابلُ بينهم مقصودٌ؛ ليظهرَ كيف اختار هؤلاء السَّحرةُ السَّعادةَ
بالصَّبْرِ على العذابِ الذي سيلقونه من فرعونَ؟ وكيف اختار هؤلاء
الشَّقاءَ؛ دون داعٍ ومُرغِبٍ.

غرض التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ القريبِ ﴿هَذَا﴾:

عبَّرَ النَّظْمُ الجليلُ عن العجلِ باسمِ الإشارةِ في قوله تعالى:
﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾؛ لأنَّ بني إسرائيلَ قدِ
اعتادوا في مصرَ عبادةَ العجلِ، فلمَّا رأوا العجلَ الذي أخرجه

المبادرة إلى
الشُّركِ والدَّعوةِ
إليه بلا تَرْثِيثٍ

قدَّرَ الأنبياءِ
تحمُّلُ معارضةِ
قومهم، والصَّبْرُ
على أذاهم

تعيَّنَ الإلهُ
بتشخيصه مادِّيًّا
تراه أعينهم

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 330.

السَّامِرِيُّ، وقد جاء على صورة المعبود الذي عرفوه من قبل، ورأوا أنه يزيدُ عليه بالخوار؛ أظهروا اليقينَ بأنه هو الإلهُ الحقيقيُّ الذي عبَّروا عنه بقولهم: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾؛ لأنَّهم كانوا يثبتون إلهاً محجوباً عن الأبصار، وكانوا يطلبون رؤيته، كما حكى النظمُ الجليلُ عنهم: ﴿أَرَأَى اللَّهُ جَهْرَةً﴾ [النساء: 153]، حينئذٍ توهموا أنَّ هذا هو الإلهُ⁽¹⁾، كما أنَّ في الإشارةَ تعييناً للإله، فهو يدلُّ على تأكيدهم على ألوهيته الشَّخصية، فدفعوا بذلك مَنْ عاندَهم عن وجودِ إلهٍ غيره.

نكتةٌ إضافة الإله إلى ضمير المخاطب:

أُضيفَ لفظُ الإله إلى ضمير المخاطبين في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ﴾؛ تعريفاً للإله بنسبته للمخاطبين، تلقيناً لهم وسلماً للردِّ منهم، فلو قالوا: (هذا هو الإله)؛ لكان سبيلُ المدافعةِ متاحاً، ولكنَّهم نسبوه إلى المخاطبين إسقاطاً لما في جعبتهم من ردٍّ قد يتفوهون به، فهو كما قال فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: 38]، وقوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: 29].

فائدة العطف وتكرار لفظ الألوهية:

حكى النظمُ الجليلُ عن القائلين أنَّهم عطفوا الإله المضاف إلى موسى على الإله المضاف إلى ضمير المخاطبين في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾، والغرضُ من هذا العطف بيانُ مقصدهم من المحاججة بأنَّ العجلَ هو الإلهُ الحقُّ في نظرهم، (فهو إلهُكم، وكذلك هو نفسه إلهُ موسى)، فأرادوا بذلك قطعَ الاحتجاجِ الذي قد يتبادرُ في أذهان السَّامِعِينَ بأن يقولوا: إذا كان هذا إلهنا؛ فمن هو إلهُ موسى؟ فبادروا بعطفِ (إله موسى) ردًّا على السؤالِ المتوقَّع؛ وحثًّا لهم على إعلان الإيمان به.

تلقينُ المخاطبِ
عقيدته يسلبُ
منه قدرة
الاحتجاجِ

استنادُ الباطلِ
على أسماءِ
الصَّالحينِ
لخداعِ النَّاسِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 287/16.

نسيانُ الإله
الحقَّ مبدأ
الضَّال

عَوْدُ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَنَسِيَ﴾:

ذكر أئمةُ التفسير في الضمير المستتر في الفعل ﴿فَنَسِيَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ أنه عائدٌ على موسى ﷺ، أي: (نسي موسى ربّه - الذي هو العجل - ، وذهب يطلبه في الجبل)⁽¹⁾، فيكون هذا من كلام بني إسرائيل الذين عبدوا العجلَ، ويجوز أن يكونَ الفاعلُ هو السَّامِرِيُّ، فيكونَ الكلامُ إخبارًا منَ الله تعالى عنِ السَّامِرِيِّ، أي: (نسي دينه وطريقَ الحقِّ)⁽²⁾، وبجعل الضميرِ لموسى يمتدُّ خيطُ استدلالِ القائلينَ على باطلهم، وتكتملُ صورةُ برهانهم، وصورةُ إحساسهم الشَّديدِ بأنَّهم ليسوا على شيءٍ، وفي باطلٍ عظيمٍ.

معنى الفاءِ في قوله ﴿فَنَسِيَ﴾:

فرَّع النُّظْمُ الجليلُ بالفاءِ العاطفةِ قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾ على قوله جلَّ شأنه: ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾، والمعنى - على كون الضمير عائدًا إلى موسى ﷺ - : (فتسبَّبَ عن أنه إلهكم أنَّ موسى نسي - بعدوله عن هذا المكان - موضعه فذهب يطلبه في مكانٍ غيره، أو نسي أن يذكره لكم)⁽³⁾.

"وتفريع فَنَسِيَ يحتمل أن يكون تفريعًا على ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ﴾ تفريعٌ علَّةٌ على معلول، فالضمير عائد إلى السامري، أي قال السامري ذلك لأنه نسي ما كان تلقاه من هدي. أو تفريع معلول على علَّة، أي قال ذلك، فكان قوله سببًا في نسيانه ما كان عليه من هدي إذ طبع الله على قلبه بقوله ذلك فحرمه التوفيق من بعد"⁽⁴⁾.

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 408 / 8.

(2) ابن عطية، لبحر الوجيز: 59 / 4، والنسفي، مدارك التنزيل: 379 / 2.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 331 / 12.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 287 / 16.

❖ الفروق المُجَمَّيَّة:

الجسم والجسد:

الجَسَد كالجسم لكنه أخصُّ، فلا يقال الجسدُ لغير الإنسان من خلق الأرض، وأيضاً فإنَّ الجسد ما له لونٌ، والجسم يقال لما لا يبين له لونٌ، كالماء والهواء⁽¹⁾، والجسدُ هو الجسم ذو الأعضاء سواء كان حياً أم لا؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ [ص: 34]، والجسدُ هو الذي لا يعقل ولا يميِّزُ إنما هو الجثة⁽²⁾، أي: أخرج لهم صورةً عجلٍ مجسَّدةٍ بشكله وقوائمه وجوانبه⁽³⁾، والجسد كالجسم لكنَّه أخصُّ، باعتبار أنَّ الجسم كلُّ شكل أو صورة، لإنسان أو حيوان أو جمادٍ، بخلاف الجسد فيشملُ من المغتذية جسدَ الإنسان، ويشمل من غير المغتذية من كلِّ خلقٍ لا يأكلُ، ولا يشربُ من نَحْوِ الملائكةِ والجنِّ ممَّا يَقِلُّ⁽⁴⁾، وآثرَ في الآية الكريمة التعبيرَ بالجسد دون الجسم للدلالة على كونه تجسَّد بجثَّة.

الجَسَدُ أخصُّ
منَ الجسمِ،
فهو الجسمُ ذو
الأعضاءِ

الفرق بين النسيان والغفلة:

النَّسيان: ضدُّ الذِّكر والحِفظ⁽⁵⁾، وهو تَرَكُ الإنسانِ ضيِّطاً ما اسْتُودِعَ، إمَّا لضعفِ قلبه، وإمَّا عن غفلةٍ، وإمَّا عن قصْدٍ حتى يَنْحَذِرَ عن القلبِ ذِكْرُهُ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: 115]⁽⁶⁾، أمَّا الغفلة؛ فأصلها يَدُلُّ على تَرَكِ الشَّيْءِ سَهْوًا، وَأَغْفَلْتُه؛ إِذَا تَرَكْتَهُ عَلَى ذِكْرٍ مِنْكَ لَهُ⁽⁷⁾، الغفلةُ: سهوٌ يعتري الإنسانَ من قلةِ التَّحَفُّظِ والتَّيَقُّظِ⁽⁸⁾،

النَّسيانُ أخصُّ
منَ الغفلةِ فهو
انمحاءُ الشَّيْءِ
منَ الذَّهنِ

(1) الزاغب، المفردات: (جسد).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19 / 17.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 286 / 16.

(4) ابن منظور، لسان العرب: (جسد).

(5) ابن منظور، لسان العرب: (نسا).

(6) الزاغب، المفردات: (نسى).

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غفل).

(8) الزاغب، المفردات: (غفل).

فَعَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ فِي الْآيَةِ بِالنَّسْيَانِ دُونَ الْغَفْلَةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى انْمِحَاءِ ذِكْرِهِ مِنْ قَلْبِهِ، لَا
مَجَرَّدِ السَّهْوِ عَنْهُ، وَهَذَا أَبْلَغُ فِي الْإِسْتِدْلَالِ عَلَى صِحَّةِ مَضْمُونِ قَوْلِهِمْ: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ
وَاللَّهُ مُوسَى﴾.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-74-7

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»